المقياس: منهجية البحث وتقنياته/ ماستر 1

- المحاضرة الأولى -

في التأسيس النظري للمصطلحات:

المنهج - المعرفة- المنهجية

مقدمة:

للمنهجية العلمية أثر كبير في كيفية تكوين الطالب الجامعي (الباحث المبتدئ)، إذ تضيء له طريق العلم، وتهديه إلى سبيل البحث الأكاديمي الذي سيقوم به في مسيرته الجامعية. وتصير مفتاحه المؤازر لكل ما استغلق من العلم.

والجامعة موطن العلم، وموئل البحث، ومنشأ النخبة، تهدف إلى نشر المعارف والعلوم، وتطويرها دوماً، وتكوين الباحثين الذين يتميزون بمواهب خاصة، وقدرات متنوعة، تمكنهم من العمل الدؤوب؛ لاكتشاف الحقائق العلمية، التي تستخدم في تنمية أوطانهم، وإيجاد الحلول لمشكلات مجتمعاتهم، كما يمكن أن تستفيد منها الإنسانية عموماً.

أن التعليم الجامعي لا يكتفي بتلقين المعلومات المعرفية، من دون آليات منهجية، أو ضوابط عقلية. بل هو مرحلة عالية من التعليم تثير في الطالب الجامعي حب الاطلاع، وروح النقد، وتحثه على طلب الحقيقة، أينما وُجدت، وتغرس في نفسه الرغبة في البحث، والموضوعية في الرأي، إلى أن يصير الطالب باحثاً، مجدّدا، متميّزاً، مستقلاً، له آراؤه، وأحكامه، وتلك أسمى غايات الجامعة

و مقياس منهج البحث وتقنياته أو مناهج البحث العلمي يدرس في كل الجامعات عبر العالم وفي جميع التخصصات العلمية والتقنية، وتخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية. وتهدف منهجية البحث العلمي إلى جعل الطالب الجامعي منهجيا في تفكيره وطروحاته وبحوثه متخلصا من الجمود الفكري ومتوجها نحو الإبداع والتجديد والنقد والتحليل المُمنهج والمنظم. إن تجنب إصدار أية أحكام تعسفية من طرف الباحث أو وقوعه في السذاجة العلمية يرتكز على مدى تسلحه بالمنهجية العلمية وأساليب البحث وتقنياته .

أولا- المنهج

المنهج بوجه عام نظام من الآليات يستخدمها الإنسان؛ ليصل إلى غاية يروم بلوغها. ولا شك في أن الإنسان قد عرف المنهج منذ قديم الزمان بفضل عقله المفكر، وتجاربه الكثيرة، وخبراته المتراكمة إذ استخدمه لإشباع حاجاته، وتوسل به لتمكينه من السيطرة على الطبيعة، وتسخير كل ما فيها لفائدته.

يتطور المنهج مع مرور الزمن بسبب تراكم التجارب، وادخار الخبرات، فينقلها الخلف عن السلّف، وبذلك وفّر الإنسان عللا نفسه كثيرا من الجهد والعناء. وما الحضارات الإنسانية المتعاقبة إلا أكبر شاهد على ذلك.

وتتوالى العصور، وتصبح كلمة منهج (Méthode) بمعنى النظر أو البحث أو المعرفة، ويصير لكل فيلسوف منهجه بدءاً من الإغريق، ومرورا بمن جاء بعدهم، وانتهاءً بحضوره في عالمنا المعاصر، بحيث صار لازماً لكل عمل يقوم به الإنسان، ولا يجادل أحد في ذلك.

وفي القرن السادس عشر (16) ظهر الفيلسفان: " فرانسيس بيكون" (F.Bacon) الإنجليزي (1561- 1626) و "ديكارت " (Descartes) الفرنسي (1596- 1650) اللذان كرسا جزءاً كبيرا من أعمالهما من أجل تثبيت دعائم المنهج، ومن حينها شاع المنهج الاستدلالي في الرياضيات، والتجريبي في الطبيعيات، والشكي في الإنسانيات، وبذلك أحرز المنهج مكانة عالية في ميدان العلوم والمعارف، حتى قيل : << يعدِلُ الإنسان عن طلب الحقيقة إذا كان سعيه من دون منهج >>.

و للفيلسوف الألماني " كانط "(Kant) (1724 – 1804) مكانته المتميّزة في علم المنهج (Méthodologie) الذي يعدّ ضروريا لدراسة مختلف العلوم والمعارف.

1- تعريف المنهج لغة واصطلاحا

أ/ في اللغة: المنهاج وللمنهج بمعنى واحد وهو الطريق أو المسلك الواضح كما هو في قوله تعالى: ﴿ لكلّ جعلنا شِرعةً ومنهاجاً ﴾ (من سورة المائدة/ الآية 48). والمعنى نفسه أقرته المعاجم اللغوية وهو أن المنهج الطريق الواضح الذي يتّبعه الإنسان للوصول إلى غاية ما.، من ذلك ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 للهجرة): << نَهج الأمرَ، وأنهج: لغتان، أي: وضح والمناهج الطريق الواضح>>، وما قاله ابن فارس (ت 395 للهجرة) صاحب "معجم مقاييس اللغة": << ن هـ ج : أصلان متباينان:

الأول: النهج: الطريق، وهو مستقيم، ونهج لي الأمر: أوضحه، والمنهاج والمنهج: الطريق أيضا والجمع مناهج >>.

ب/ في الاصطلاح:

المنهج خُطّة يسير عليها الباحث بدءاً من التفكير في موضوع البحث حتى ينتهي من إنجازه. ومن تعريفاته نذكر ما يلي:

- "المنهج خُطة معقولة لمعالجة مشكلة ما، وحلّها عن طريق استخدام المبادئ العلمية، المبنية على الموضوعية، والإدراك السليم، المدعّمة بالبرهان والدليل".
- ويعرف عبد الرحمان بدوي المنهج بأنه " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة ".
- " المنهج فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بخا جاهلين، وإمّا من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين".

وممّا تقدّم يمكننا القول إن المنهج هو الخُطّة التي اتّبعها مؤلف الكتاب في علاج القضية التي اختارها موضوعا لبحثه، وقيامها على أساس من المنطق، أو من الاستقراء، أو منهما معا، كما يُراد بها استعمال المادة وتحليلها، ومناقشتها، وتقويمها، ونقدها، وإعمال الرأي فيها، واستخلاص النتائج منها.

وفي عُرف الجامعيين الأكاديميين يُراد بالمنهج << النسق الذي تُرتّبُ به أجزاء الإشكالية سواء أكانت أنساقًا تاريخيةً مما يجعل الحوادث مرتّبة وفق تتابعها الزمني، أو أنساق موضوعية، تتقدّم فيها الموضوعات العامة، وتذيل بها المسائل الفرعية، أو هو نسق منطقي يبدأ بالمقدمات لتليها النتائج>>.

ومحصّلة القول إن المنهج طريق واضح يسلكه الباحث، أو قواعد معروفة أكاديميا، يسير الباحث على هداها حتى لا يضل الطريق، ولا يزيغ عن الهدف، ولا تقصر همّته عن الغاية المأمولة.

إن المنهج واحد في جميع ميادين العلم والمعرفة، وهو التوفيق بين النشاط الذاتي المبدع، والمعلومات الموضوعية، والأدلة، والوسائل كما تظهر في سياق البحث.

ثانيا-بين المنهج والمعرفة

يعدّ منهج البحث في جميع حقول المعرفة واحد، والهدف هو التوفيق بين النشاط الذاتي المبدع، والمعلومات الأولية والوسائل التي تظهر في سياق البحث، على أن فضائل البحث عامة، فهي فضائل متّصلة بالتكوين السليم للإنسان، ومن ثم بالإنسانية جمعاء.

والمنهج العلمي هو الدراسة الفكرية الواعية للمناهج المختلفة التي تطبق في مختلف العلوم وفقاً لاختلاف موضوعات هذه العلوم، وهي قسم من أقسام المنطق، والمنهج هو خطوات منظمة يتّبعها الباحث أو الدارس في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة، أي أن المنهج هو الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة عن طريق جملة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل.

يؤدّي منهج البحث دوراً أساسيًا في تدوين معلومات البحث، فهو يلزم الباحث على عدم إبداء رأيه الشخصي دون تعزيزه بآراء لها قيمتها، والتقيّد بإخضاع أي رأي للنقاش مهما كانت درجة الثّقة به، إذ لا توجد حقيقة راهنة بذاتها، وضرورة تقيّد الباحث بالدّقة في الاعتماد على الروايات والاقتباسات أو التواريخ غير الواضحة أو غير الدقيقة، وكذلك ضرورة الدّقة في شرح المدلولات التي يسوقها الباحث، وباختصار ينبغي، أن يتحلى الباحث بالصبر على ما قد يبعثه البحث أحياناً، في النّفس من شعور بالغربة والوحشة، وما قد يعنيه من وحدة انعزال وتأمل.

و المعرفة العلمية هي معرفة يمكن إثباتها عن طريق كل من العقل والتجربة(الملاحظة)، كما أن الصلاحية المنطقية ووسيلة التحقق التجريبية هما المعيا ا رن اللذان يستخدماهما العلماء لتقويم المسعى في سبيل المعرفة، وهذان المعيا ا رن يترجمان

في أنشطة البحث التي يقوم بها العلماء من خلال عملية البحث .ومن هنا يمكن النظر إلى عملية البحث على أنها المخطط الشامل للأنشطة العلمية التي ينشغل فيها العلماء لتحقيق المعرفة .فهي النموذج المثالي للاستقصاء العلمي.

ثالثا-بين المنهج و المنهجية

إن المنهجية فرع من فروع الإيبستمولوجيا (علم المعرفة) تختص بدراسة المناهج أو الطرق التي تسمح بالوصول إلى معرفة علمية للأشياء و الظواهر. أمّا المنهج فهو مجمل الإجراءات و العمليات الذهنية التي يقوم بها الباحث لإظهار حقيقة الأشياء أو الظواهر التي يدرسها.

و يمكن أيضا أن نعُدّ بأنّ المنهج هو موقف أمام الموضوع و نتحدّث في هذه الحالة مثلا على المنهج التجريبي و المنهج الطبي ، و إنّ كلمة المنهج تعني أيضا اللّجوء إلى أنماط تحليلية خاصة بفروع علمية مميزة.

1- تعريف المنهجية

هناك من يجعل مفهوم المنهج مرادف لمفهوم المنهجية فهل المنهج هو المنهجية ؟؟

المنهج هو ذلك الطريق أو الأسلوب الذي يختاره الباحث من بين عدة طرق وأساليب علمية (المناهج) بما يتناسب مع موضوع بحثه، وذلك لمعالجة إشكاليته وفق خطوات بحث محددة من أجل الوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج بشأنها، ولذلك يمكن القول إن المنهجية أشمل من علم المناهج الذي هو جزء أساسي منها، فهو يظهر أساسا في كيفية معالجة الموضوع على مستوى المتن و خطة البحث وهما من أجزاء البحث، أما المنهجية فهي تهتّم بكل أجزاء وأقسام البحث العلمي من خلال بيان عناصرها وشروطها و القواعد التي تحكمها، فضلا عن المسائل المتعلقة بالشكل مثل: كيفية التوثيق في الهامش، كيفية توثيق وكتابة قائمة المصادر و المراجع، علامات الوقف،...

إن معنى منهجية البحث العلمي كعملية أو نشاط فكري (الإستقراء و تفسير الواقع) يختلف عن مسألة المناهج المنطقية. إن مضمون المنهجية كأسلوب تنظيم و تصوير شامل لأجزاء البحث العلمي و الالتزام بتنفيذها مرحلة تلو الأخرى.

إنّ المنهجية بمفهومها الواسع هي فلسفة البحث العلمي والفكر المتّبع في الأبحاث العلمية، و الغاية من تعريف الطالب بالمنهجية كأسلوب عام تهدف إلى تجنبه من الوقوع في الأخطاءالتي يقع فيها عادة الباحث المبتدئ.

وبناءً عليه فالمنهجية هي الطريقة التي يتّبعها العقل لمعالجة أو دراسة موضوع أو مسألة ما من أجل التوصل إلى نتائج معينة و تكون :

علمية: للكشف عن الحقيقة

و مقصودة: للبرهنة عليها لإقناع الغير

كما تعني تعلم الإنسان كيفية استخدام ملكاته الفكرية و قدراته العقلية أحسن استخدام للوصول إلى نتيجة معينة بأقل جهد و أقصر طريقة ممكنة.

إنّ عملية إنجاز أو إعداد بحث علمي تشبه إلى حدّ كبير عملية البحث أو التنقيب عن النفط إن نجاح برنامج العثور على النفط ، يتوقف على إتباع خطة أو مسعى معين (دراسة نوعية الحقول ، تحديد تقنيات البحث ثمّ يأتي في الأخير التنقيب)

و إنّ هذه العملية تفترض مساهمة كفاءات شتى (مهندسون في علم الأرض ، مهندسون في تقنيات (الحفر ، وتقنيين منفذين للخطة أو العمل

و لا يحق لنا أن ننتظر من رئيس المشروع أن يكون متمكنا من كل التقنيات المستعملة و إنما دوره الحقيقي يتوقف على مدى قدرته في تصور المشروع في التنقيب عن النفط .

فعلى الباحث أن يكون له تصور واضح لما يبحث فيه (تحديد موضوع البحث ، وضع خطة منهجية عمل و هذه الأخيرة لا تتمثل في التقنيات الممكن إتباعها بل ألية ذهنية لإستظهار و لإستقراء الواقع أو الموضوع كتصور شامل لأبعاد البحث

و لهذا فإنّ الباحث لما يتلقى صعوبات كبيرة التي تكاد أن تجهض مشروع بحثه فالسبب لا يعود لعدم نجاعة التقنيات المستعملة بل لعدم تمكينه من تحديد و إتباع منهجية تشمل كل أجزاء البحث.

2- هل المنهجية فن أو علم؟؟

الفن هو نشاط إنساني خاص ينبأ ويدل على قدرات وملكات إحساسية وتأملية وأخلاقية وذهنية خارقة مبدعة. أو هو المهارة الخاصة في تطبيق المبادئ والنظريات العلمية في الواقع و الميدان، ويعتمد على عدّة عوامل مختلفة ومتغيّرة مثل درجة الذكاء وقوة البصر وصواب الحكم والاستعدادات القيادية لدى الأشخاص وبالتالي تظهر فنية المنهجية في تعريف المنهج في حدّ ذاته، وتظهر فنية المنهجية في الخطّة التي يتصورها أي باحث عند دراسته لموضوع – بحث معين بعد قراءته لمجموعة من المراجع والمصادر، ومن ثم يقوم بتصميم خطة بحثه، مثل المهندس الذي يرسم مخطط بنائه، فالخطّة هي بمثابة المشروع الهندسي لبحثه.

إذن ممّا تقدّم يمكن القول إن المنهجية هي فن من هذا الجانب، وإذا كانت كذلك فهل يمكن أن نفسرها علم ؟

ذكرنا آنفا أن المنهجية هي علم يدرس المناهج ، وتحتوي المنهجية على المنهج وما يطبقه هذا المنهج من ظواهر بمثابة الموضوع. إذن المنهجية هي علم وفن في آن واحد.

ببليوغرافيا المحاضرة

- المصحف الشريف برواية ورش عن نافع

أولا- المصادر:

أحمد بن فارس (أبو الحسين):

- معجم مقاييس اللغة، ج 5، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، (د.ت).

الفراهيدي (الخليل بن أحمد):

- ترتيب كتاب العين، ج 1، وج 3،تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، وتصحيح الأستاذ أسعد الطيب، مؤسسة الميلاد: تيزهوش- قم (إيران) 1414 هـ ، ط 01.

الجرجاني (علي بن محمد الشريف):

- كتاب التعريفات: مكتبة لبنان: بيروت، 1985.

جلال الدين السيوطي:

- التعريف بآداب التأليف، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، 1998.

العليمي:

- المنهج الأحمد في أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عدد من المحققين، دار صادر: بيروت ،1990.
- مجمع اللغة العربية:
- المعجم الوسيط، دار المعارف: القاهرة، 1972.

ثانيا المراجع بالعربية

بدر، أحمد: (د)

- أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات: الكويت، 1973.

بدوي، عبد الرحمن (د):

- مناهج البحث العلمي، وكالة .المطبوعات: الكويت، ط 03،1977 .

ثريا عبد الفتاح ملحس (د.ة):

- منهج البحث العلمي للطلاب الجامعيين، دار البشير: عمان، ومؤسسة الرسالة: بيروت، ط 6 ، 1998.

جواد الطاهر علي (د) :

- منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر :بيروت، ط 03، 1979 .

شلبي، أحمد (د) :

- كيف تكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ط 06، 1968 .

فاروق حمادة:

- منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفاً وتحقيقاً، دار القلم: دمشق، ط 1، 2000.

محمد محمد قاسم:

- المدخل إلى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية: بيروت، 1998.

محمود سليمان ياقوت:

- منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع: الإسكندرية، 2003.

ثانيا المترجمة إلى العربية

آلار، ميشال:

- في المنهج العلمي وروح النقد، دار الإنسان الجديد: بيروت، 1974

فلاديمير كزرناغوف:

- مناهج البحث العلمي، ترجمة: د. علي مقلد، دار الحداثة: بيروت، د.ت.

روزنتال ، فرانتز:

- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، الدار العربية للكتاب : بيروت، 1983.